من التاريخ

بقلم حبيب زين العابدين

كنت أقلب في مذكرات وقعت في يدي عن تاريخ العرب الحديث ، وعلى الرغم من أنني لا أميل كثيراً إلى قراءة التاريخ -كما هو الحال عند كثير من الناس- إلاّ أن بعض الفقرات استهوتني بسبب التشابه في ملامحها مع بعض ما يدور في عصرنا الحاضر ، ومما قرأت : (دارت محادثات سرية بين بعض الحلفاء وروسيا ، لتقسيم البلاد العربية فيما بينهم ، وتنازلت دولة كذا لدولة كذا عن بعض المدن العربية ، بينما واقف الحلفاء على حلّ مشكلة المضايق لروسيا ومنحها بعض المدن في تركيا مقابل موافقتها على قضية التقسيم .. وما أن سمعت دولة كذا بهذه الاتفاقية حتى سارعت تطالب بحصتها) ، وفي فقرة أخرى قرأت : (علم الحلفاء بأمر المحادثات الجارية بين العرب والعثمانيين ، بعد إفشاء أسرار الاتفاقيات السرية لتقسيم البلاد العربية ، فعمدوا إلى الخداع وأعلنوا أن الأنباء التي أعلنت عن اتفاقية سايكس-بيكو إنما هي أنباء ملفقة) .

وفي فقرة ثالثة ورد ما نصه : (أدرك العرب أخيراً وبعد فوات الفرصة أن الحلفاء لم تكن عندهم منذ البداية الرغبة في إنشاء دول عربية متحدة ، أو حلّ مشكلاتهم مع العثمانيين ، وإنما كان قصدهم توزيع التركة فيما بينهم .. وكانت النتيجة الحتمية للخديعة التي تعرض لها العرب سقوطهم تحت نير الاستعمار الغربي .. إلخ).

وسألت نفسي لماذا لا يقرأ العرب والمسلمون التاريخ بعيون مبصرة وقلوب واعية علّهم يجدون تفسيراً لما يجري من حولهم .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

ولا جدال في أن كثيراً من حقائق التاريخ ما زالت مشوهة وفيها كثير من الأخطاء ، وتحتاج إلى إعادة كتابة ، وعلى الرغم من كلّ ذلك فهناك أمور إن لم تكن واضحة صراحة ، فإنها تقرأ من بين السطور ، والحوادث والشواهد التي نحياها اليوم تدل دلالة واضحة على أن التاريخ يعيد نفسه ، وربما في صورة أبشع وأفظع .. أفليس من المجدي أن نقرأ التاريخ لنستلهم منها العبر والعظات حتى لا نلدغ من جحر واحد ألف مرة ، فما جرى ويجري في لبنان ، وأفغانستان ، وحرب الخليج ، وما ظهر في الكتاب المشهور (لعبة الأمم) وفي المذكرات التي تنشرها جريدة الشرق الأوسط دلائل على أن العرب على كافة مستوياتهم لا يتعظون بالتاريخ والتجارب حديثها وقديمها .